مجلة التعليم في حالات الطوارئ

الزيارات المنزلية في الشرق الأوسط: آراء حول تطبيق مشروع تواصل وتعلم Reach Up and Learn

المؤلف (المؤلفون): Katelin Swing Wilton, Aimée Vachon, Katie Meave Murphy, Ayat Al Aqra, Abdullah Ensour, Iman Ibrahim, Anas Tahhan, Kayla Hoyer, and Christine Powell

المصدر: *مجلة التعليم في حالات الطوارئ*، المجلد 7، العدد 1 (يونيه 2021)، الصفحات 1-27

المنشورة من قبل: الشبكة المشتركة بين الوكالات للتعليم في حالات الطوارئ

URL الثابت: http://hdl.handle.net/2451/63947

DOI: https://doi.org/10.33682/uvj0-uycy

المراجع:

هذا منشور مفتوح المصدر. التوزيع مجاني. يجب منح كل الفضل للمؤلفين على النحو التالي:

Swing Wilton, Katelin, Aimée Vachon, Katie Meave Murphy, Ayat Al Aqra, Abdullah Ensour, Iman Ibrahim, Anas Tahhan, Kayla Hoyer, and Christine Powell. 2021. " الزيارات المنزلية في الشرق الأوسط: آراء حول تطبيق مشروع تواصل وتعلم Reach Up and Learn ". *مجلة التعليم في حالات الطوارئ* 7 (1): 1-11..https://doi.org/10.33682/uvj0-uycy

---

تنشر *مجلة التعليم في حالات الطوارئ (JEiE)* أعمالًا علمية وممارسة رائدة ومتميزة حول التعليم في حالات الطوارئ (EiE)، والتي تُعرَّف على نطاق واسع بأنها فرص تعليمية عالية الجودة لجميع الأعمار في حالات الأزمات، بما في ذلك تنمية الطفولة المبكرة، والتعليم الابتدائي والثانوي وغير الرسمي والتقني والمهني والتعليم العالي وتعليم الكبار.

حقوق النشر 2021، الشبكة المشتركة بين الوكالات للتعليم في حالات الطوارئ.

مجلة التعليم في حالات الطوارئ، التي نشرتها الشبكة المشتركة بين الوكالات للتعليم في حالات الطوارئ، مرخصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي الدولية مع ذكر المصدر وعدم التعديل أو الاستخدام التجاري https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/4.0 ، ما لم يذكر خلاف ذلك.

الزيارات المنزلية في الشرق الأوسط:

آراء حول تطبيق مشروع تواصل وتعلم Reach Up and Learn

Katelin Swing Wilton, Aimée Vachon, Katie Maeve Murphy,

Ayat Al Aqra, Abdullah Ensour, Iman Ibrahim, Anas Tahhan,

Kayla Hoyer, and Christine Powell

ملخص

نورد في هذه المذكرة الميدانية الأسانيد المؤيدة لتكييف Reach Up and Learn، وهو تدخل للزيارات المنزلية قائم على الأدلة، بما يلائم احتياجات اللاجئين والنازحين الداخليين والسكان المستضعفين الآخرين في الأماكن المتضررة من النزاعات في الأردن ولبنان وشمال شرق سوريا. نتناول بالشرح تنفيذ هذا التدخل في البلدان الثلاثة، ونستعرض ملاحظاتنا، بما في ذلك النجاحات المُحققة والتحديات التي واجهتنا في العامين الأولين (2016 و2017) من هذا المشروع متعدد السنوات. كذلك نقدم رؤى حول تطور هذا المشروع في كل بلد على حدة، ونقارن مناهج التكييف ونباين بينها في كل بلد، ونبرز الابتكارات مستندين في ذلك تحديدًا إلى التعقيبات من داخل البلد. كذلك نتطرق إلى مناهج قياس التدخل وحساب تكلفته، ونشير إلى الطرق التي يساهم المشروع من خلالها في المجموعة المحدودة من الأدلة في هذه المنطقة. نقدم توصيات محددة بمزيدٍ من الأبحاث لإيجاد أدلة حول تنمية الطفولة المبكرة في إعداد البرامج الإنسانية، ونختم بنظرة عامة على المرحلة التالية من مشروع Reach Up and Learn، الذي يمثل جزءًا من مبادرة أوسع نطاقًا لتحسين النتائج التنموية للأطفال المتأثرين بالأزمات والصراع في المنطقة.

مقدمة

في عام 2018، وُلِدَ ما يزيد عن 29 مليون طفل في حالات نزاع (يونيسف 2019). نادرًا ما يحصل مقدمو الرعاية في حالات النزاع، التي تتسم بمستويات عالية من التوتر وانعدام الأمن، على دعمٍ في تقديم رعاية التنشئة لأطفالهم الصغار. برنامج Reach Up and Learn (الذي يُشار إليه فيما بعد في هذه الوثيقة ببرنامج Reach Up) المُقدَّم من لجنة الإنقاذ الدولية (IRC)، هو برنامج زيارات منزلية للأطفال من سن 6 أشهر إلى 3 سنوات و مقدمي الرعاية لهم. هذا البرنامج مُصمَّم لدعم إمكانات مقدمي الرعاية من أجل إتاحة فرص أفضل للتعلم القائم على اللعب للأطفال، ويأخذ هذا البرنامج مدخلاً جديدًا في دعم تنمية الطفولة المبكرة عن طريق دمج الزيارات المنزلية لتنمية الطفولة المبكرة بالخدمات التي تشتمل عليها حاليًا الاستجابة الإنسانية.

نقدم في هذه المذكرة، وبعد استعراض خلفية موجزة حول الأزمة السورية والحاجة إلى إعداد برامج تنمية الطفولة المبكرة في المنطقة، نظرة عامة على المنهج البرامجي لـ Reach Up، وتوصيفًا لعملية التكييف والتنفيذ الفريدة والمتكررة التي حدثت في كل بلد من هذه البلدان الثلاثة. كما نقدم تفاصيل مهمة حول تطور البرنامج في العامين الأولين من التنفيذ. نناقش في الأجزاء التالية الدروس المُستفادَة والنتائج المنبثقة في الوقت الحاضر من البرنامج في كل بلدٍ (انظر شكل رقم 1)، ونقدم توصيات تتعلق بالعمل في المستقبل.

شكل رقم 1: خريطة سوريا ولبنان والأردن تشمل مواقع تنفيذ برنامج لجنة الإنقاذ الدولية Reach Up

المصدر: سونغ هي تشاو/لجنة الإنقاذ الدولية

الأزمة السورية واحتياجات مقدمي الرعاية للأطفال الصغار

أدت الأزمة السورية منذ عام 2011 إلى حركة نزوح هائلة قاربت الـ11 مليون نسمة، من بينهم أكثر من 6 ملايين شخص داخل البلد، وأكثر من 5 ملايين لاجئ سوري. عادة ما يعيش اللاجئين والنازحين الآخرين في مخيمات أو مستوطنات عشوائية أو بيئات شبه حضرية (المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين 2019).

تأثير أزمة اللاجئين السوريين واضح لأسبابٍ كثيرة، لكنَّ تأثيرها على الأطفال خطير بشكل خاص؛ فنحو نصف (45%) اللاجئين السوريين من الأطفال في سن 17 عام أو أقَل، بينما شكل الأطفال دون الخامسة 15.7 بالمائة من اللاجئين السوريين في سبتمبر 2019 (المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين 2019). تم توثيق الآثار السلبية للحرب و/أو العنف و/أو النزوح على الأطفال الصغار، لاسيما الأطفال دون سن الثالثة، بصورة جيدة. تشير الإحصائيات إلى أن الأطفال الصغار الذين ولدوا في بيئات يمرون فيها بتجارب سلبية متنوعة مثل التعرض للعنف أو المرض المزمن أو غياب الفرص، أكثر احتمالية لمكابدة نتائج صحية سيئة ومستوى من الرفاه يتناسب مع مستوى الصدمة الذي تعرضوا له (Felitti et al. 2019). يمكن للأطفال في ظل غياب تفاعلات متجاوبة متكررة مع مقدمي الرعاية ووجود عوامل إجهاد كالفقر والعنف، أن تتولد لديهم استجابة إجهاد سام ، وهي عبارة عن اختلال في عمليات حيوية وعصبية مهمة أثناء المراحل التأسيسية من التنمية. يمكن أن يكون للإجهاد السام في سنٍ مبكرة تبعات خطيرة على المدى البعيد على تنمية الأطفال تزيد من مخاطر تعرضهم لنتائج سيئة على الصحة البدنية والعقلية و القصور الإدراكي، و انخفاض في المكاسب لاحقًا (Shonkoff et al. 2012).

كذلك ثمة أدلة على وجود تأثير ملحوظ للحرب و/أو العنف و/أو النزوح على رفاهية مقدمي الرعاية، لاسيما فيما يتعلق بقدرتهم على تقديم رعاية مستجيبة/فعالة لأطفالهم، والمشاركة في أنشطة تعلُّم. هناك عدد من العوامل والأحوال التي تؤثر سلبًا على مقدمي الرعاية الذين يعيشون في أجواء الصراع، مثل فقدان الروابط المجتمعية، والصعوبات المالية، ومشكلات في الصحة البدنية والعقلية، والتحديات البيئية. لحُسن الحظ، تُظهِر الأدلة أنه بمقدور برامج التنشئة أن يكون لها تأثير إيجابي على ممارسات مقدمي الرعاية ودعم قدرة كل من مقدمي الرعاية والأطفال الذين يعيشون في أجواء الصراع على التأقلم (Murphy, Yoshikawa, and Wuermli 2018).

أقر إطار رعاية التنشئة تحقيقًا للتنمية في مرحلة الطفولة المبكرة (منظمة الصحة العالمية 2018) بأن تقديم خدمات تعليمية مبكرة متكاملة يُعَد احتياجًا أساسيًا للأطفال دون سن الثالثة الذين يتأثرون بالنزاع. تدخلات التنشئة مثل Families Make the Difference الأسر تصنع الفرق، وهي عبارة عن جلسة جماعية لآباء الأطفال من الولادة وحتى سن الثامنة، تأثير مؤكد (Puffer et al. 2015)، لكن القليل من البرامج يتعامل مع الاحتياجات الخاصة للأطفال من الولادة وحتى سن الثالثة وأسرهم، لاسيما أولئك الموجودين في أماكن الصراع. 27 خطة استجابة إنسانية فقط وضعتها وكالات الأمم المتحدة ذات الصلة وحكومات البلدان للاستجابة للأزمات المفاجئة التي تتطلب مساعدة إنسانية دولية تشمل تنمية الطفولة المبكرة، لم يتم جمع إلا القليل من الأدلة حول التصميم الفعال للبرنامج، ولم تُجر إلا أربعة تقييمات للأثر لتدخلات التنشئة في السياقات الإنسانية (Murphy et al. 2018؛ يونيسكو 2018، 138-39). ونتيجة لذلك، تُترك العائلات النازحة بدون دعم حاسم خلال الفترة الأكثر أهمية في نمو أطفالهم.

Reach Up and Learn تواصل وتعلم

Reach Up عبارة عن برنامج للزيارات المنزلية في مرحلة الطفولة المبكرة مُصمَّم ليساعد مقدمي الرعاية على دعم التنمية الصحية لأطفالهم. يعتمد البرنامج على واحد من تدخلات تنمية الطفولة المبكرة يُعرَف باسم البرنامج الجامايكي للزيارة المنزلية الذي وُضِعَ في جامعة ويست إنديز. وثَّقَت الدراسات التي أُجريت على هذا التدخل في جامايكا الأثر الإيجابي للزيارة المنزلية على الدعم النفسي الاجتماعي والتحفيز المعرفي لدى الأطفال من سن 9 أشهر إلى 24 شهرًا. مع أن الدراسات أوصت بزيارات منزلية أسبوعية، إلا أنهم لاحظوا أن الزيارات كل أسبوعين يمكن أن يكون لها أيضًا تأثير إيجابي (Grantham-McGregor et al. 1991; Powell and Grantham-McGregor 1989). في حين جاءت أبحاث لاحقة شملت دراسات متابعة طولية لتوثق التأثير الإيجابي الملحوظ للبرنامج على القدرة المعرفية والصحة العقلية وعوائد سوق العمل (Gertler et al. 2014; Walker et al. 2011). خضع برنامج Reach UP منذ نشأته للتكييف والتنفيذ في أكثر من 13 بلدًا.

توفر مجموعة أدوات Reach UP دليلاً تدريبيًا لأفراد المجتمع الذين يرغبون في أن يصبحوا زائرين منزليين، وتشمل مجموعة الأدوات منهجًا منظمًا قائمًا على اللعب يهدف إلى إعداد زائرين منزليين جُدُد يتولون توجيه مقدمي الرعاية في القيام بأنشطة تعليمية مبكرة مع أطفالهم. يتألف البرنامج من زيارات منزلية أسبوعية أو نصف شهرية مدة كل منها ساعة واحدة، ويتم التركيز فيها على اللعب وبناء ثقة مقدم الرعاية في نفسه. يتم التعريف بالأنشطة التعليمية المبكرة المرحة ودعمها على مدار سلسلة من الزيارات.

يقوم الزائر المنزلي بتوضيح هذه الأنشطة في منزل مقدم الرعاية، ثم يقوم في الوقت الذي يمارس فيه مقدم الرعاية هذه الأنشطة مع طفله بتقديم الدعم والثناء. من شأن هذا النهج الذي يقوم على "التوضيح والممارسة والثناء" إيجاد بيئة يشعر فيها كل من مقدم الرعاية والطفل بالدعم في تصرفاتهما في الوقت الذي يتعرفان فيه على فرص جديدة للتعلم. من أهم خصائص هذا المنهج القائم على الزيارة المنزلية تمكين مقدم الرعاية، وهو الأمر الذي يؤسس لأن يكون له تأثير طويل الأمد على الأسرة ككل كما تعكسه نظرية التغيير للبرنامج (انظر شكل رقم 2).

شكل رقم 2: نظرية التغيير لبرنامج Reach Up

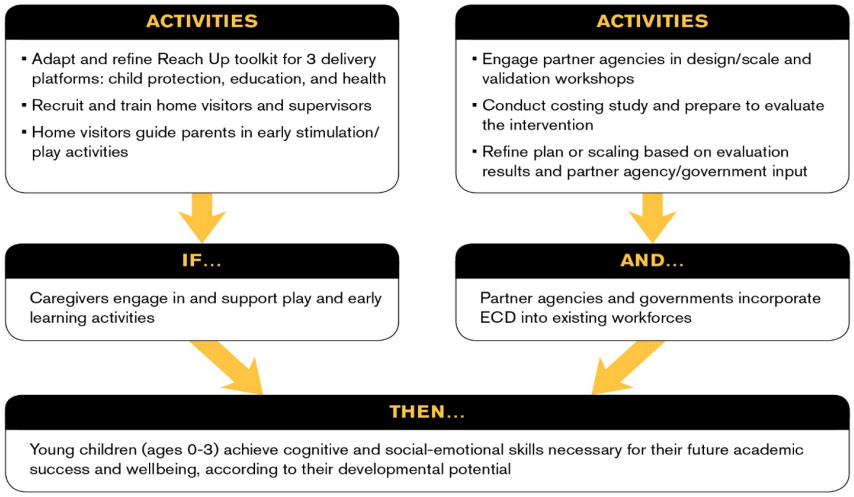

أنشطة	أنشطة
• تكييف مجموعة أدوات Reach Up وتنقيحها لتلائم 3 منصات تقديم: حماية الطفل والتعليم والصحة. • توظيف وتدريب زوار المنزل والمشرفين. • يتولى الزائرون المنزليون توجيه الوالدين في أنشطة التحفيز/اللعب المبكرة.	• الاستعانة بوكالات شريكة في تصميم/تحديد نطاق ورش العمل والتحقق من صلاحيتها. • إجراء دراسة التكاليف والاستعداد لتقييم التدخل . • تنقيح الخطة أو تغيير نطاقها في ضوء ما تُسفِر عنه نتائج التقييم والمدخلات التي توفرها الوكالة/الحكومة الشريكة.
إذا...	و...
يشارك مقدمو الرعاية في اللعب وأنشطة التعلم المبكر ويدعمونها.	تقوم الوكالات والحكومات الشريكة بدمج تنمية الطفولة المبكرة ضمن القوى العاملة الحالية.
حينئذٍ...	
يكتسب الأطفال الصغار (من سن 0 إلى 3) المهارات المعرفية والاجتماعية العاطفية اللازمة لنجاحهم الأكاديمي المستقبلي ورفاههم بحسب قدراتهم التنموية.	

المصدر: Katelin Wilton, Sunghee Cho/IRC

رغم عمليات التكييف الكثيرة التي جرت على برنامج Reach UP قبل تكراره هذه المرة على مجتمعات النازحين في الشرق الأوسط، إلا أنه لم يُنفَّذ كجزءٍ من استجابة إنسانية من قبل. مع أن التكرار الحالي للبرنامج يستفيد من الخبرة السابقة، لكن جرى تكييفه ليتعامل تحديدًا مع الاحتياجات الفريدة للأطفال ومقدمي الرعاية المستضعفين في الشرق الأوسط. كان برنامج Reach Up السبيل الأمثل لدعم الآباء في توفير رعاية التنشئة لأطفالهم بالنظر إلى خبرة لجنة الإنقاذ الدولية (IRC) الواسعة في دعم الآباء والأطفال في المناطق المتضررة من الصراعات ومدى فداحة أزمة اللاجئين السوريين وندرة برامج تنمية الطفولة المبكرة في السياقات الطارئة.

المرحلة الأولى من Reach Up

البحث التمهيدي والنموذج التجريبي في الأردن

بدأت لجنة الإنقاذ الدولية (IRC) في عام 2016 بإجراء بحث أولي في كلٍّ من الأردن ولبنان لتحديد كيفية التعامل مع احتياجات مقدمي الرعاية للأطفال في أعقاب أزمة اللاجئين السوريين، وركزت في عملها على الوقوف على مدى الاهتمام بدعم التنشئة وتوافره لمقدمي الرعاية السوريين في مناطق النزوح، ومدى الحاجة إلى تكييف نماذج البرامج القائمة على الأدلة بهدف دعم نطاق تقبل البرنامج ونطاق وصوله، وتحديد تكاليفه المحتملة. لم تسفر النتائج فقط عن وجود فرص لدعم مقدمي الرعاية، لكنها أسفرت أيضًا عن وجود طلب على تلك البرامج بين الأسر السورية. كانت النتائج ذات الصلة بشكل خاص ببرنامج Reach Up هي تلك التي أظهرت أن الشبكات الاجتماعية القوية التي تعتمد على الأسرة والأعراف الثقافية للاستضافة تعني ترحيب المجتمع بالزيارات المنزلية.

كجزءٍ من هذا البحث، جرى اختبار تجريبي لبرنامج Reach Up امتد لشهرين في سبتمبر 2016 في مخيم الأزرق للاجئين في شمال الأردن حيث كان المتطوعون التوعويون يجرون بالفعل زيارات ميدانية للتوعية بشأن خدمات حماية الطفل. تم إجراء تدريب قصير قبل الشروع في الاختبار التجريبي زار أثنائه ثمانية متطوعين 16 أسرة للوقوف على جدوى هذا النموذج ومدى قبوله وأوجه التكييف المطلوبة لتنفيذه، وفي نهاية الاختبار التجريبي، تم توزيع استبيان تعقيبي على جميع مقدمي الرعاية ذَكروا فيه أن أطفالهم: "أحبوا كل ما يتعلق بالزيارات المنزلية". كما ذكر مقدمي الرعاية أنهم بعد مشاركتهم في البرنامج كانوا أكثر ميلاً لمدح أطفالهم (94%)، والحديث معهم (81%)، وإشراك أطفالهم في الأنشطة المنزلية (68%)، واللعب مع أطفالهم (62%). بعد النجاح الذي حققه الاختبار التجريبي، تم التوسع في تطبيق Reach Up في مخيم الأزرق من خلال قطاع حماية الطفل. أُجري بعد ذلك اختبار تجريبي مدته ثلاثة أشهر في محافظتي عكار والبقاع في لبنان من خلال قطاع التعليم، الذي استفاد من العلاقات القائمة بين الأسر وطاقم العمل التي ترسَّخَت من خلال البرامج المجتمعية لمرحلة ما قبل سن الدراسة.

تدريب المدربين وتكييف البرنامج

أجرى أعضاء فريق Reach Up and Learn في جامايكا تدريبًا للمدربين لأعضاء فريق Reach Up في فبراير 2017 لإعدادهم لإطلاق البرنامج والشروع في عملية تكييف البرنامج ليلائم الأسر السورية. ركزت عملية التكييف على التعرف على منصات تقديم البرنامج داخل لجنة الإنقاذ الدولية (IRC)، والتخطيط لوضع سياق للمواد المُستخدَمَة مثل الكتب القصصية، وتقييم مدى الملاءمة الثقافية لأنشطة المناهج.

كانت الخطوة الأساسية الأولية هي ترجمة المنهاج إلى اللغة العربية، وهي اللغة السائدة في تلك المنطقة، وقد تمت ترجمته بطريقة احترافية إلى العربية الفصحى، ومراجعته بواسطة ورشة الموارد العربية لاعتبارات تتعلق بالدقة الفنية واللهجة المُستخدَمَة في هذه المنطقة، وأخيرًا، تم تكييفه من حيث النبرة والملاءمة الثقافية بواسطة فريق لجنة الإنقاذ الدولية (IRC) في المنطقة.

قامت فِرَق العمل في لجنة الإنقاذ الدولية (IRC) باختبار المحتوى بعد تكييفه وتأكيد ملاءمته ثقافيًا لكل من اللاجئين السوريين والمجتمعات المضيفة، ولظروفهم المعيشية . مر الدليل التدريبي بعددٍ من التغييرات اشتملت على إضافة توجيهات حول العمل مع مجتمعات النازحين في المنطقة، وقد اشتمل ذلك على التعامل مع أسر كبيرة العدد لديها أطفال كثيرون في المنزل، وهو أمر شائع الحدوث في المجتمع السوري. كذلك أُضيف إلى التدريب محتوى جديد بما يعكس الاحتياجات الخاصة للمجتمع للتعامل مع رفاهية مقدم الرعاية (إدارة الإجهاد واستراتيجيات المواجهة ورسائل الرعاية الذاتية)، وحماية الأطفال، والتعرف على علامات التعرض للإساءة (لاسيما العنف ضد النساء أو الأطفال)، وإحالة الأسر إلى خدمات الحماية، واستخدام الانضباط الإيجابي.

عملت لجنة الإنقاذ الدولية مع فريق Reach Up الجامايكي وفنانين أردنيين على تكييف الصور والكتب القصصية المستخدمة في المنهاج لتناسب السياق المحدد، واشتمل ذلك على تغيير الرسوم التوضيحية لتظهر فيها عناصر وبيئات ملائمة محليًا. واحدة من أهم مميزات Reach Up هي صناعة الألعاب، حيث يستخدم زوار المنزل دليلاً تفصيليًا لصناعة ألعابهم الخاصة للذين يزورونهم. خضعت عملية صناعة الألعاب لعملية تكييف شاملة، انطوت على التعرف على المواد المحلية لكل نشاط وارد في المنهاج. اشتملت عمليات التكييف المحلية على صناعة خشخيشات من علب جل تصفيف الشعر، وشاحنات من الورق المقوى، وعرائس على شكل أغنام من القطن والورق المقوى. كما أُضيفَت إلى جدول أعمال كل زيارة منزلية الأغاني المحلية المعروفة و المحبوبة.

التوسع داخل شمال شرق سوريا

في منتصف عام 2017، تواصل مكتب لجنة الإنقاذ الدولية في شمال شرق سوريا مع الوحدة الفنية للتعليم بشأن توسيع نطاق البرنامج ليشمل قطاع حماية الطفل. وفي أواخر عام 2017، وبعدما تلقى الطاقم السوري لحماية الطفل التدريب وأُجرِيَت تعديلات إضافية على المنهاج والمواد، أُطلِقَ برنامج للزيارة الأسبوعية في عددٍ من مخيمات النازحين الداخليين وفي المناطق الحضرية التي يعيش فيها سوريون نازحون. في أواخر عام 2018، تم توسيع نطاق برنامج Reach Up داخل الأردن، حيث استفاد البرنامج من خدمات الزيارة المنزلية لبرنامج الصحة المجتمعية التي تقدمها لجنة الإنقاذ الدولية. عمل البرنامج في تعاون وثيق مع القطاع الصحي، وتم توسيع نطاقه ليشمل محافظة المفرق بوصفه نموذجًا متكاملاً للزيارة المنزلية في مجال تنمية الطفولة المبكرة وصحة المجتمع. تواصلت الزيارات المنزلية لمدة عام واحد حتى يونيو 2019، حيث انتهت المرحلة الأولى من تنفيذ Reach Up في الشرق الأوسط.

ملخص بالدروس المُستفادَة

تمخض تنفيذ برنامج Reach Up في عدد من البلدان المختلفة عن الكثير من الدروس نظرًا للفارق الشاسع بين مواقع تنفيذه المختلفة، وعدد الأفراد الذين تم الوصول إليهم، والتباين بين خلفيات المشاركين في حالة شمال شرق سوريا.

التنفيذ

اتضح جليًا أثناء تنفيذ Reach Up في عددٍ من البلدان أن المنهاج وتقديمه يتطلبان المزيد من التكييف؛ فعلى سبيل المثال، جاءت التغييرات التي أُدخِلَت على الكتب القصصية لتعكس ظروف إقامة تحاكي الخيام والمعيشة في شقق، والنباتات الصحراوية، والحيوانات والمنتجات المحلية. نظرًا لأن البرنامج يعمل في المناطق شبه الحضرية، ومستوطنات الخيام، وأجواء المخيمات، كان إنشاء المحتوى البصري المناسب على نطاق واسع يمثل تحديًا خاصًا، لكنَّ أعمال الترجمة تمت على أفضل وجه، وذَكَر برنامج شمال شرق سوريا أن توافر مواد مُتَرجَمَة سهل بدء البرنامج.

ظلت التحديات تدور حول صناعة ألعاب للبرنامج واستخدامها . تعلمنا أن صناعة الألعاب مسألة مستنفذة لوقت الزائرين المنزليين أكثر مما توقعنا في الأصل؛ لذا كان علينا أن نمنحهم مزيدًا من الوقت كي يتمكنوا من إعداد اللعب لزياراتهم. كذلك وجدنا أن جمع بعض المواد لم يكن بالسهولة التي توقعناها، لأن إعادة التدوير لم يكن شائعًا في الأردن؛ فعلى سبيل المثال، أدى حدوث تغييرات في التوزيع في مخيم الأزرق إلى نقص في زجاجات الشامبو التي استخدموها في صناعة سيارات اللعب، لكننا حللنا هذه المشكلة غير المتوقعة عن طريق تشجيع طاقم لجنة الإنقاذ الدولية على المشاركة في إعادة التدوير المكتبي.

جاء أحد أكثر الدروس إثارة للاهتمام من شمال شرق سوريا ، حيث دفعتنا التحديات الفريدة المتمثلة في سكان لا يشعرون بالأمن وينخفض بينهم مستوى الإلمام بالقراءة والكتابة إلى إنشاء دليل مدعم بالرسومات التوضيحية للوالدين يشرح منهاج الزيارة المنزلية من دون استخدام أي كلمات تقريبًا. تم تصميم هذا الشكل المرئي في الأصل كحل مؤقت يحل محل الزيارات شريطة إمكانية طباعته بتكلفة منخفضة. يجري فريق شمال شرق سوريا اختبارات تجريبية على هذا المنتَج بالتعاون مع لجان تنمية الطفولة المبكرة التي يقودها المجتمع.

ثمة تكييف آخر يتمثل في استخدام برنامج قائم على الحواسيب اللوحية لتقديم Reach Up في قطاع الصحة الأردني، حيث قام الحاسوب اللوحي المُصمَّم في الأصل لمتطوعي صحة المجتمع بتنبيه الزائرين المنزليين تلقائيًا للنشاط الملائم للطفل في ضوء السن المُسجَّل له. قام النظام بجمع عدد من نقاط البيانات الرئيسية، مما سمح بتجميع أسهل لبيانات أداء البرنامج. لكن قبل أن نتوسع في استعمال الحواسيب اللوحية، سنحتاج إلى حل بعض تحديات التصميم العالقة.

مع أن عددًا من التحديات المتعلقة بالتنفيذ كان مقتصرًا على سياقات بعينها، إلا أن ثمة تحديات أخرى ظهرت في كل البرامج في الأردن وسوريا ولبنان، كتلك المتعلقة بمشكلات التدريب والاحتفاظ بطاقم العمل والإشراف على الزيارات المنزلية. استمر التدريب على Reach Up عشرة أيام، أصبح بوسع المتدربين بعدها القيام بزيارات منزلية مع وجود إشراف دوري. لكنَّ الالتزام هذه المرة كان صعبًا على المدربين الذين يتحملون مسؤوليات إدارية لبرامج كثيرة متنافسة؛ ففي سياقات متعددة -على سبيل المثال- كان الزائرون المنزليون يتقاضون أجرًا من الحكومة المضيفة بسبب قيود العمل المفروضة على اللاجئين بدلاً من أن يصبحوا ضمن أفراد طاقم العمل، وهو ما ساهم بدوره في ارتفاع معدل دوران العاملين، وخلق الحاجة إلى تدريب مستمر. لمكافحة معدل دوران العمالة المرتفع، عملت فِرَق العمل في Reach Up على تطوير قوائم احتياطية من الزائرين المنزليين المُدرَّبين الجاهزين للاستعانة بهم حسب الحاجة. أما عن الأثر الأكبر لدوران العمالة فتمثل في الافتقار إلى الإخلاص لمنهجية Reach Up وصعوبة توفير إشراف عالي الجودة. للمساعدة في التخفيف من هذا التحدي، أنشأت لجنة الإنقاذ الدولية حلقات تعليمية للزائرين المنزليين، وهي عبارة عن نموذج للتطوير المهني بين النظراء يُستخدَم في الأصل مع المعلمين. استضاف المشرفين حلقات تعليمية شهرية لمساعدة الزائرين المنزليين على تقوية ممارساتهم، وتشجيعهم على مشاركة التحديات التي تواجههم، ودعم الإحساس بالانتماء للمجتمع. استمر تنفيذ الحلقات التعليمية بصورة غير رسمية في لبنان، ويجري تعميمها في شمال شرق سوريا والأردن.

كان استقطاب المشاركين تحديًا عالميًا آخر ، وذلك رغم اختلاف الدوافع الجوهرية اختلافًا طفيفًا بين السياقات المختلفة؛ ففي لبنان والأردن، أدى التدهور الاقتصادي إلى زيادة تقارير مقدمي الرعاية حول الضغوط المالية، التي دفعت بالناس إلى اعتبار التعليم المبكر أولوية أقل لأسرهم مقارنة بالتحديات المالية التي تواجههم. تمكن الزائرون المنزليون الذين بذلوا جهودًا متواصلة للتغلب على تحديات الإستقطاب من خلال إشراك جيرانهم أولاً في البرنامج، من بناء صِلات اجتماعية أكبر، وتسجيل المشاركين الذين كانوا مشككين في البداية.

النتائج الناشئة

بلغ برنامج Reach Up حتى ديسمبر 2019 أكثر من 4399 طفلاً و4025 مقدم رعاية في البلدان الثلاثة: خدمت فِرَق الصحة في الأردن 1725 طفلاً و1669 مقدم رعاية، وخدم فريق لبنان 320 مقدم رعاية، وخدم برنامج شمال شرق سوريا 1748 طفلاً و1530 مقدم رعاية.

استخدمنا ثلاثة تقييمات، وهي: أدوات تنمية الطفولة المبكرة المُبلَّغ عنها من جانب مقدم الرعاية (CREDI)، وهي عبارة عن نموذج قصير لقياس تنمية الطفل، واستبيان لمقدم الرعاية يطرح أسئلة حول معارف مقدم الرعاية والممارسات التي طورتها لجنة الإنقاذ الدولية، والقائمة المرجعية للمشرف بغرض تقييم أداء الزائرين المنزليين، وهي القائمة التي طورها فريق Reach Up كجزءٍ من مجموعة الأدوات. يعرض الجدولان 1 و2 بيانات من الأردن ولبنان.

جدول رقم 1: بيانات CREDI من الأردن ولبنان

	لبنان، مايو-يوليو 2018	الأردن، ديسمبر 2018-يوليو 2019
إجمالي عدد المجيبين	312	307
نسبة المجيبين الذين تحسنت درجاتهم بين خط الأساس وخط النهاية	92	82
متوسط التحسن في الدرجات بين خط الأساس وخط النهاية	7	13

المصدر: لجنة الإنقاذ الدولية (IRC)

جدول رقم 2: الأداء في عناصر محددة من واقع استبيان مقدمي الرعاية في لبنان، مايو-يوليو 2018

الأساليب التي تستخدمها مع طفلك لدعم التعلم والتنمية لديه			كتب الأطفال أو الكتب المصورة التي أعطيت للطفل في المنزل الأسبوع الماضي		
عدد الأساليب	نسبة المجيبين في خط الأساس	نسبة المجيبين في خط النهاية	عدد الكتب	نسبة المجيبين في خط الأساس	نسبة المجيبين في خط النهاية
0	26	0	0	87	12
1	11	8	1	7	47
2	12	30	2	3	24
3	51	62	3	2	17

المصدر: لجنة الإنقاذ الدولية (IRC)

أظهر الاختبار التجريبي في لبنان وجود تحسن كلي في أداء الطفل ومقدم الرعاية والزائر المنزلي على مستوى المقاييس الثلاثة ؛ فقد تحسنت ممارسات مقدم الرعاية بصورة ملحوظة في عدد من العناصر، مع وجود طفرات ملحوظة عند أدنى مستوى من المشاركة. على سبيل المثال، ذكر 26 بالمائة فقط من الآباء عند مستوى خط الأساس استخدامهم لأساليب (مثل قراءة الكتب والغناء) لدعم تنمية أطفالهم. لكن مع خط النهاية، ذكر 92 بالمائة من الآباء استخدامهم لأسلوبين أو ثلاثة أساليب (أعلى استجابة ممكنة هي ثلاثة)، مع عدم وجود أسر أبلغت عن استخدام أي أسلوب. كذلك تحسن أداء الزائرين المنزليين بصورة ملحوظة أثناء مدة الاختبار التجريبي وفقًا لقائمة Reach Up المرجعية، إذ أظهر 87.5 بالمائة من الزائرين المنزليين تحسنًا بين خط الأساس وخط النهاية. أخيرًا، أظهر 92 بالمائة من الأطفال تحسنًا في درجات CREDI بين خط الأساس وخط النهاية. يشير الأداء القوي لكل من الأطفال وزوار المنزل في التدابير الخاصة بهم إلى السلامة الكلية للنموذج وتعامله بفاعلية مع احتياجات الأطفال وأسرهم.

في الأردن، من ناحية أخرى، أظهر 82 بالمائة من الأطفال تحسنًا في درجات CREDI بين خط الأساس وخط النهاية، بمتوسط تحسن بلغت نسبته 13 بالمائة. مع أن معدل التحسن الإجمالي جاء أقل من النموذج التجريبي في لبنان، إلا أن متوسط التحسن كان أعلى، مقارنة بمتوسط تحسن بنسبة 7 في المائة للنموذج التجريبي في لبنان.

قصص النجاح

وردت تقارير غير موثقة عن نجاح البرنامج مباشرة من مقدمي الرعاية المشاركين في البرنامج وزوار المنزل الذين قدموه؛ فقد أبلغ مقدمو الرعاية من كلا الجنسين بصورة متكررة عن بهجتهم وتفاجئهم لما حققه أطفالهم من تقدم سريع في البرنامج، معلقين بقولهم إن أطفالهم قد تجاوزوا توقعاتهم أو فهمهم العام لقدرات الأطفال الصغار. في شمال شرق سوريا، حيث تعرض بعض الأسر للعنف حديثًا، لاحظ الزائرون المنزليون أن الكثير من مقدمي الرعاية صُدموا عندما رأوا أطفالهم الصغار بدأوا يتحدثون بعد تلقي زيارات منزلية، وقد أدى هذا النجاح إلى طلبٍ مرتفع على البرنامج في تلك المنطقة. أبلغ الزائرون المنزليون في جميع السياقات الثلاثة بعد التدريب الذي تلقوه والوقت الذي أمضوه في زيارة الأسر عن شعورهم بالرضا للعمل الذي قاموا به. بل إن بعض الزائرين المنزليين استمروا بعد ختام النموذج التجريبي في لبنان في العمل كمدربين في مراكز للتعليم في مرحلة الطفولة المبكرة، وذكروا بصورة غير موثقة إن الأطفال الذين تلقوا زيارات منزلية كانوا أكثر استعدادًا للتعلم والتواصل الاجتماعي عندما دخلوا الصف المدرسي.

حساب التكلفة

للوصول إلى أكبر عدد من الأطفال بميزانية محدودة، قمنا بتقييم التباين في تكلفة تقديم Reach Up بين النماذج المتكاملة الثلاثة: التعليم وحماية الطفل والصحة. تراوحت تكلفة النماذج -التي وزعت فيها نفس المحتوى- بين 8 دولارات أمريكية إلى 56 دولارًا أمريكيًا (بسعر الدولار سنة 2019) لكل زيارة منزلية (انظر شكل رقم 3). يرجع الفارق في التكلفة إلى حجم العمل الذي حققه كل فريق وليس إلى أي خاصية جوهرية في البرامج ذاتها التي تم دمج Reach Up فيها. خلصنا من ذلك إلى أن العامل الحاسم في اختيار الوسيلة الكفء لتقديم Reach Up هو حجم العمل في سياق معين، إلا أن " حجم العمل " له أبعاد كثيرة. اتسم فريق الصحة بالكفاءة نظرًا للعدد الكبير من زوار المنزل الذين يعملون على تنمية الطفولة المبكرة وتوصيل الرسائل الصحية. كذلك اتسم فريق حماية الطفل بالكفاءة نظرًا لقيامه بضعف عدد الزيارات المنزلية حتى يتسنى لهم قضاء مزيد من الوقت في تنمية الطفولة المبكرة. بعدما اتضحت قدرة فريق الصحة وحماية الطفل على تقديم Reach Up بتكلفة معقولة لكل زيارة منزلية، سوف تركز القرارات المستقبلية على المفاضلة بين النطاق الجغرافي لفريق الصحة ومقدار الوقت الذي يستطيع فريق حماية الطفل تخصيصه لتنمية الطفولة المبكرة.

شكل رقم 3: تكلفة الزيارة المنزلية لكل نموذج من النماذج المتكاملة الثلاثة

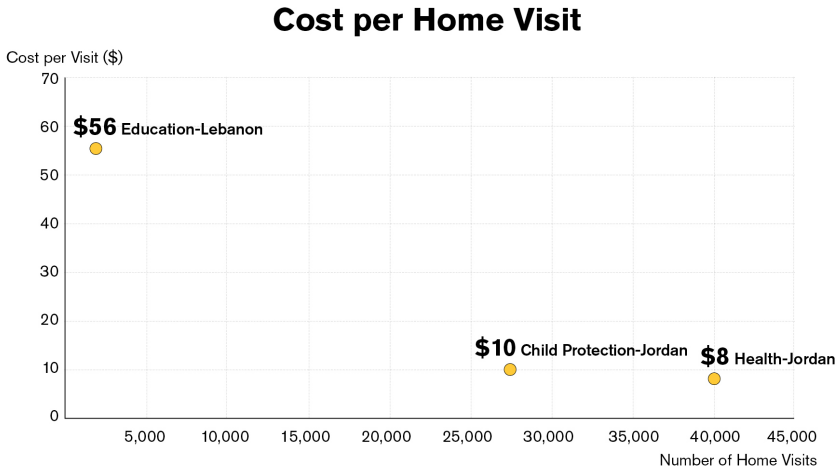

المصدر: IRC

بينما تبدو تكاليف الموارد البشرية للزيارات المنزلية مرتفعة بالنسبة للسياق المحلي (انظر شكل رقم 4)، فإن هذه التكاليف تصاحبها في الأجل البعيد عوائد على الاستثمار ومكاسب محققة في مجالات مختلفة من التنمية البشرية (Gertler et al. 2014; Richter et al. 2017). يُقدَّر العائد على الاستثمار لرعاية الطفولة المبكرة والتعليم في الأردن -على سبيل المثال- بما يتراوح بين 9 و 17 دولارًا أمريكيًّ لكل دولار مُستَثمَر (Fink et al. 2017). أظهرت الحكومات الاتحادية في أمريكا اللاتينية مؤخرًا فاعلية التوسع الضخم في تكيفيات برنامج Reach Upمثل Cuna Mas في بيرو.

شكل رقم 4: متوسط تكلفة النماذج الثلاثة المتكاملة للزيارة المنزلية.

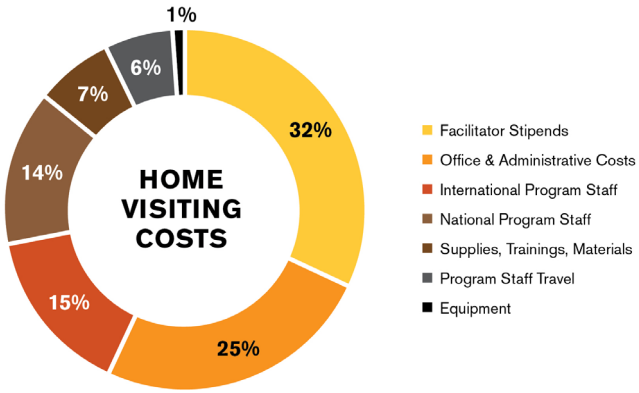

تكاليف الزيارات المنزلية

- رواتب المدربين
- تكاليف إدارية ومكتبية
- الطاقم الدولي للبرنامج
- الطاقم المحلي للبرنامج
- لوازم و تدريبات و مواد
- مصاريف سفر طاقم البرنامج
- معدات

المصدر: IRC

أفكار وتوصيات

حاولنا في هذه المذكرة الميدانية إظهار قيمة تنفيذ برنامج Reach Up في التعامل مع التحديات الهائلة التي تواجه رفاه الطفل ومقدم الرعاية التي فرضتها أزمة اللاجئين السوريين، والمشاكل التي تواجه تنفيذه. نجح البرنامج من خلال عملية تكييف متعددة المراحل في النمو والتطور كي يتعامل مع التحديات التي يواجهها الآباء في مختلف أنحاء هذه المنطقة المتضررة من النزاعات. جاءت النتائج التي أسفرت عنها المرحلة الأولى من البرنامج مشجعة. يجلب برنامج أهلاً سمسم، وهو عبارة عن شراكة بين Sesame Workshop وIRC بدأت في عام 2018، برامج تنمية الطفولة المبكرة إلى الشرق الأوسط ويُمكّن IRC من إقامة علاقات شراكة محلية بهدف نشر Reach UP في مختلف بلدان المنطقة. سوف تعمل المرحلة الجديدة من البرنامج على التعرف أكثر على الدروس المُستفادَة والبناء عليها.

تشير الأعمال المبكرة لهذا البرنامج إلى أن Reach Up نهج واعد لبرامج تنمية الطفولة المبكرة في السياقات الإنسانية. التوصيات المستقبلية بتكرار هذه النوعية من البرامج هي على النحو الآتي:

- مزيد من الابتكار في شأن تقديم التدريب مطلوب للزيارات المنزلية المتعلقة بتنمية الطفولة المبكرة في السياقات الإنسانية. كذلك ينبغي إخضاع عمليات التكييف بهدف تقصير مدة التدريب للاختبار، وفي الوقت ذاته لا بد من التوضيح في وقت مبكر أن التدريب على Reach Up عملية أطول وأكثر شمولاً مما قد تتوقعه الأطراف الفاعلة في العمل الإنساني.

- ينبغي أن يتم التدريب بصفة منتظمة تحسبًا لمعدل الدوران المتوقع للزائرين المنزليين ، نظرًا لطبيعة التنقل العالية للسكان المتضررين من النزاع.
- لا بد من إخضاع طرائق تدريبية جديدة للاختبار التجريبي، مثل التدريب على مراحل أو التدريب الجزئي عبر الإنترنت لتقصير الزمن اللازم لبدء البرنامج.

- لا بد من تزويد زوار المنزل بأحدث معلومات الإحالة حتى يتمكنوا من التعامل مع الاحتياجات الأساسية لمقدمي الرعاية، ولا سيما الاحتياجات المالية، عن طريق إحالتهم إلى خدمات أخرى، لا سيما في السياقات التي يكون فيها مقدمو الرعاية أكثر عرضة للخطر.
- ينبغي أن يعزز الإشراف والتوجيه المبكر لزوار المنزل التركيز على تغير سلوك مقدمي الرعاية. بما أن الزيارات المنزلية تشمل التعامل المباشر مع الأطفال، فقد يكون من المربك لزوار المنزل أن يفهموا أن دعم مقدم الرعاية يجب أن يكون محور التركيز الأساسي، لكن يمكن التغلب على هذا التحدي من خلال الإشراف الدقيق.
- الطبيعة الغامرة لهذا النموذج في ظل استمرار الزيارات المنزلية لمدة تصل إلى الساعة تعني ضرورة الحفاظ على عدد قليل من الحالات -من ثلاث إلى أربع زيارات في اليوم- للتقليل من التعب الذي يتعرض له زوار المنزل والحفاظ على جودة عملهم.
- في حالة نهج التسليم متعدد القطاعات، فإن وجود تعاون وثيق مع القطاعات الأخرى أمر حيوي جدًا لنجاح البرنامج؛ إذ إنه يضمن مشاركة الدروس المستفادة والقدرة على التعامل مع التحديات بصورة تعاونية. يمكن لدوائر التعلم أن تساعد في تيسير هذا الأمر وتوجيه زوار المنزل نحو رؤية مشتركة لتحسين نتائج الأسر.
- يجب تحليل تكلفة الزيارة المنزلية بانتظام ، ويجب على مديري البرامج النظر فيما إذا كان من الأفضل التكامل مع البرامج ذات النطاق الجغرافي الأكبر، أو مع البرامج الأكثر استهدافًا أو البرامج الصغيرة حيث تكون التكلفة أكبر لكل أسرة.

ستؤدي عمليات التقييم المستقبلية إلى معرفة المزيد حول أثر هذا البرنامج، وتوفر معلومات حول طرائق إعداد البرامج الأكثر فاعلية من حيث التكلفة وقابلية التوسع والاستدامة. إن النتائج المبكرة الواعدة للنموذج التجريبي في لبنان وجمع البيانات من الأردن فضلاً عن التعقيبات الإيجابية التي حصلنا عليها من الأسر في البلدان الثلاثة أرست الدعائم لتقييم مخطط للأثر يقيس تنفيذ القطاع الصحي في الأردن لبرنامج Reach Up، ومن شأن هذا التقييم أن يساهم بنتائج جديدة مهمة تضيف إلى مجموعة الأدلة المحدودة حول تنمية الطفولة المبكرة في سياقات الطوارئ التي تستهدف مقدمي الرعاية والرُّضَّع والأطفال الصغار. وسوف تضطلع هذه الأدلة الجديدة بدور مهم جدًا ليس فقط في جهود المناصرة والتمويل، لكن أيضًا في تقريب المجتمع الإنساني من هدفه الجماعي المتمثل في تحسين النتائج التي يحققها الطفل ومقدم الرعاية في حالات النزاع والأزمات.

المراجع

Felitti, Vincent J., Robert F. Anda, Dale Nordenberg, David F. Williamson, Alison M. Spitz, Valerie Edwards, Mary P. Koss, and James S. Marks. 2019. "Relationship of Childhood Abuse and Household Dysfunction to Many of the Leading Causes of Death in Adults: The Adverse Childhood Experiences (ACE) Study." *American Journal of Preventive Medicine* 14 (4): 245-58. https://doi.org/10.1016/S0749-3797(98)00017-8.

Fink, Günther, Dana C. McCoy, Hala I. Hatamleh, Helena Pylvainen, Alexandra Chen, and Ghazi Al-Assaf. 2017. "Economic Implications of Investing in Early Childhood Care & Education in Jordan." Working Paper No. 1. Amman, Jordan: Queen Rania Foundation.

Gertler, Paul, James Heckman, Rodrigo Pinto, Arianna Zanolini, Christel Vermeersch, Susan Walker, Susan M. Chang, and Sally Grantham-McGregor. 2014. "Labor Market Returns to an Early Childhood Stimulation Intervention in Jamaica." *Science* 344 (6187): 998-1001. https://doi.org/10.1126/science.1251178.

Grantham-McGregor, Sally M., Christine A. Powell, Susan P. Walker, and John H. Himes. 1991. "Nutritional Supplementation, Psychosocial Stimulation, and Mental Development of Stunted Children: The Jamaican Study." *The Lancet* (8758): 1-5. https://doi.org/10.1016/0140-6736(91)90001-6.

Murphy, Katie Maeve, Hirokazu Yoshikawa, and Alice J. Wuermli. 2018. "Implementation Research for Early Childhood Development Programming in Humanitarian contexts." *Annals of the New York Academy of Sciences* 1419 (1): 90-101. https://doi.org/10.1111/nyas.13691.

Powell, Christine, and Sally Grantham-McGregor. 1989. "Home Visiting of Varying Frequency and Child Development." *Pediatrics* (1): 157-64.

Puffer, Eve S., Eric P. Green, Rhea M. Chase, Amanda L. Sim, John Zayzay, Elsa Friis, Eduardo Garcia Rolland, and Laura Boone. 2015. "Parents Make the Difference: A Randomized-Controlled Trial of a Parenting Intervention in Liberia."*Global Mental Health.* https://doi.org/10.1017/gmh.2015.12.

Richter, Laura M., Bernadette Daelmans, Joan Lombardi, Jody Heymann, Florencia Lopez Boo, Jere R. Behrman, Chunling Lu et al. 2017. "Investing in the Foundation of Sustainable Development: Pathways to Scale Up for Early Childhood Development." *The Lancet* 389 (10064): 103-18. https://doi.org/10.1016/S0140-6736(16)31698-1.

Shonkoff, Jack P., Andrew S. Garner, Benjamin S. Siegel, Mary I. Dobbins, Marian F. Earls, Laura McGuinn, John Pascoe et al. 2012. "The Lifelong Effects of Early Childhood Adversity and Toxic Stress." *Pediatrics* 129 (1): e232-46. https://doi.org/10.1542/peds.2011-2663.

UNESCO (UN Educational, Scientific, and Cultural Organization). 2018. *Global Education Monitoring Report 2019: Migration, Displacement, and Education—Building Bridges, not Walls.* Paris: UNESCO https://doi.org/10.18356/63d08c20-en.

UNHCR (UN High Commissioner for Refugees). 2019. “Operations Data Portal: Syria Regional Refugee Response.” Online Data Resource.

UNICEF (UN Children’s Fund). 2019, September 19. “29 Million Babies Born into Conflict in 2018.” Press Release. https://www.unicef.org/press-releases/29-million-babies-born-conflict-2018.

Walker, Susan P., Susan. M. Chang, Marcos Vera-Hernández, and Sally Grantham-McGregor. 2011. “Early Childhood Stimulation Benefits Adult Competence and Reduces Violent Behavior.” *Pediatrics* 127 (5): 849-57. https://doi.org/10.1542/peds.2010-2231.

WHO (World Health Organization). 2018. *Nurturing Care for Early Childhood Development: A Framework for Helping Children Survive and Thrive to Transform Health and Human Potential.* Geneva: WHO.